قصة

من وحي الجدول

بقلم : الاستاذ حسن الجواهري

لقد كانت تروح وتغدو بين البيت والجدول وجرة الماء محمولة على كتفها وذلك عمل شاق تقوم به القرويات لتموين بيوتهن بالماء يومياً وهو لم يكن الا جزءاً من بقية الأعمال الجبارة التي تنوء تحت اعبائها الثقيلة فتاة القرية المسكينة وكان الوقت آنذاك اصيلا والشمس منبسطة على المزارع والحقول والنسيم يسري رخاءاً بارداً في جو مشبع بانفاس الورود الندية ومضمخ بشذى الأعشاب الناضرة والسكون ضارب أطنابه في الفضاء فلا صوت الا أصوات الطيور المتجاوبة ولا همس الا وقع الندى على الأوراق الغضة المتمايلة . أجل لقد كانت تروح وتغدو وهي تنقل الماء الى البيت يستر جسدها البض الرقيق ثوب أحمر بسيط ورأسها البيضي الجميل عباءة من الصوف تنحدر الى ركبتها أما الوجه والصدر والساقان فمعروضة جميعاً الى النور والهواء والأنظار بصورة جميلة فاتنة وكانت خصلة من شعرها الذهبي الناعم تدلى على خدها الوردي الأسيل فتزيدها فتنة وجمالا وقد كانت تخفف من وطأة التعب بغناء ريفي اخاذ ينبعث من حنجرتها موسيقياً مطرباً تهتز له المشاعر وتهفو اليه القلوب تلك هي (زهوة) ابنة الريف ووليدة الطبيعة وربيبة الفضاء اللا متناهي .

وكان في الضفة الثانية من الجدول شاب في مقتبل العمر فيه حيوية ونشاطا مفتول الساعدين قوي العضلات أسمر البشرة جذاب الملامح يحتظن قيثارة ذات أوتار متعددة يعزف عليها عزفاً ريفياً آية في الفن والعجوبة في الصنعة ذلك هو « حميدي » ويشاء الغرام أن يلعب دوره في ذلك المسرح الريفي العجيب فيتغلغل بين القلبين ثم يسري مفعوله الى العروق والشرايين فيكهرب الدم ويفعل فعله الرهيب وما هي الا نظرات أعقبتها ابتسامات ثم انقلبت الى اشارات ورموز مفهومة بين الطرفين وبدأت الأيام الجديدة تمر وتتعاقب وهي تلهب العاشقين بنيران الغرام وتكهربهما بكهرباء الحب فراحا يتناجيان ويتفاهمان بلغة لا يفهمها الا العشاق والمحبون غير ان الوصال كان يبدو لأول الأمر مستحيلا لان زهوة محاطة باخوة ثلاثة قد جبلوا على الصراحة وطبعوا على الفروسية ان علموا بامرها قتلوها حالا وما ايسر القتل عند الريفيين في سبيل العرض والناموس ولكن تيار الحب جارف لا تقف دونه العقبات ولا يصده تهديد ووعيد فطوح بهذين الحبيبين الى ركوب الاخطار واقتحام الشدائد ذلك انهما تعاقدا سراً برموز واشارات كانت كافية لتمهيد الوصال تحت جنح الظلام وقد علم « حميدي » بان عليه أن يجازف بحياته مجازفة أقل اخطارها رصاصة تردية قتيلا وانه لابد له أن يقتحم البيت الذي تقيم فيه حبيبته وسالبة لبه وهنالك قد تمكنه المغادير من ضمها وعناقها والتمتع بجمالها الرائع الفتان أما اذا لم يوفق الى ذلك وحالت بينه وبين امنيته الرصاصة فانه قد أدى رسالة حبه كاملة وذهب شهيداً في السبيل الذي سلكه من قبله المحبون المغامرون . وظل يتحين الفرص السانحة والاوقات المناسبة لاقتحام البيت واخطاره وقد اعد عدته وتدجج بسلاحه وخاض عباب بحر من الظلام في ليلة ضرب له فوعد فيها من قبل حبيبته ذو ساعة معينة ووقت معلوم وعند بلوغه باب المنزل رأى

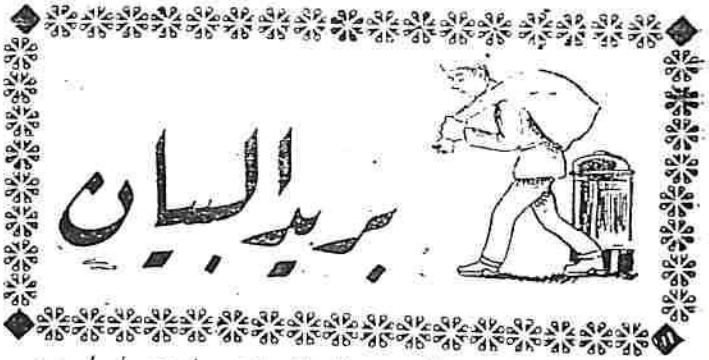

جاءنا للنشر من جمعية التحرير الثقافي مايلي بتاريخ ٢/٧/٩٤٦

حضرة الاستاذ صاحب مجلة البيان الغراء المحترم.

تحية وسلاما وتبجيلا واحتراما

لقد أكبرنا تلك الموهبة الفياضة التي تجلت فيكم والعزم الثابت المتدام باصدار مجلتكم مجلة البيان الغراء على حين اشتباك الازمات وتواليها ان بالمال اوبالورق فحقاً ما قيل همم الرجال تزيل الجبال .

والانصاف انها قد برزت مجلة جميلة رائقة ذات مواضيع جذابة وأهداف ومقاصد سامية

لقد راقنا جداً تطرقكم الى نوع من الأدب المنسى ذلك هو الأدب المستحدث المسمى « البند » فنشكركم على حسن انتباهكم ولطف خواطركم ولاغرابة ممن جد واجتهد منذ نعومة اظفاره لاحياء تراث الأدب العربي القديم

بيد اننا نرجو من فضيلتكم زيادة عنايتكم بهذا النوع من الأدب وتخصيص مكان له في المجلة مناسب ولفت نظر خاص عند الطبع ليظهر بثوب قشيب وحلة فضفاضة فتستفيد به ابناء الضاد وهواة (البيان) استفادة تامة

كما نرجوا اعادة نشر بند المرحوم العلامة الشيخ حسن ابن الشيخ اسماعيل الخضري المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ

وذلك لزيادة الفائدة فيه لم تكن في الأصل المحفوظ عند ولده الاستاذ الشيخ عبدالغني الخضري وها نحن نبعث لكم بالصورة المطابقة للأصل حرفياً راجين نشرها ولكم منا عاطر الثناء وجزيل الاطراء ودمتم

معتمد جمعية التحرير الثقافي

(البيان) نلبي هذا الاقتراح بتكلف نظراً الى أن اعادة المنشور يتنافى وخطة الصحيفة ، وحيث أنا قد علمنا من طريق الوقوف أن أعظم شخصية علمية أدبية في العالم الاسلامي قد وقفت على هذا البند وأبدت ملاحظاتها الثمينة عليه وصححته إرتأينا اعادة نشره واليك هو :

شبحاً يطل عليه من السطح سرعان ما عرفه لحبيبته زهوة وقد كانت تنتظره على احر من الجمر فمدت له حبلا صعد بواسطته واستقر على فراش وثير وكانت الأسرة تغط في نوم عميق الا سالم الاخ الكبير لزهوة فانه كان آنذاك ساهراً يجوب نواحي (البستان) وقد رأى شبحاً من بعيد يتسلق جدار البيت ظنه لاول وهلة لصاً فسارع وبيده بندقية محشوة بالرصاص وفي مكان قريب من البيت اختبأ وراء نخلة ينتظر خروج اللص ليرديه قتيلا غير ان الساعات بدأت تتعاقب دون ان يظهر اثر لهذا اللص الغريب وقد خشي سالم ان يكون اللص قد ثقب من جهة اخرى من البيت وهرب بما حمله من اثاث فلم يجد له بداً من اقتحام البيت عن طريق الباب الذي فتحها بواسطة المفتاح الذي كان يحمله معه وراح يمشي على اطراف اصابعه يتحسس ويتجسس ويا ما اشد اضطرابه حين وقعت عيناه على ذلك الفراش الموطء ورأى رجلا غريباً

يعانق اخته تحت ضوء النجوم المتلألئة آنذاك ثار الدم العربي في وجهه على غليانا تطاير منه شرر الغيرة والحمية فصوب بندقيته الى الحبيبين الحالمين المتمتعين بنشوة الوصال وسكرة الحب وبحركة من اصبعه القابض على المحرك دوى المحل بنيران البارود وجرى الدم القاني يصبغ اديم الارض واشتد عواء الكلاب وهبت الاسرة مذعورة وتجمع الجيران فكانت ليلة حافلة بالهرج مليئة بالصراخ بوشر في اثنائها بحفر قبر ادرجت فيه الجثتان الهامدتان وسوي بالتراب ولم تطلع الشمس الا والحبيبان يتعانقان في جوف الثرى وقد اسدل على الحادث المروع ستار كثيف من النسيان .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

النجف — حسن الجواهري